

دراسة تأثير نهج البلاغة على القصائد المأثورة لناصر اليازجي

ابراهيم فلاح*

تاريخ القبول: ١٤٤٢/٠٧/١٧

تاريخ الاستلام: ١٤٤١/٠٩/١١

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية، فرع ساري، ساري، إيران

Original Research

The Effect of Nahj-ul-Balaghah on the Aphoristic Poems of Nasif Yazji

Ebrahim Fallah*

Received: 2020/05/05

Accepted: 2021/03/01

Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Islamic Azad University, Sari Branch, Sari, Iran

10.30473/ANB.2021.52919.1204

Abstract

Nahj-ul-Balaghah is a collection of the most indispensable Islamic topics and teachings, one of the most exquisite sacred texts and the principle of humanization, and as a reliable source in the geometry of knowledge of religion comprises the speech and excerpts of Ali (AS). It has artistically been expressed in the best words and has attracted the attention of many writers, poets, and writers including Nasif al-Yaziji. The present paper scrutinizes the impact of Nahj-ul-Balaghah on the Aphoristic poems of Nasif al-Yaziji. Yaziji is one of the most celebrated contemporary Arab poets and one of the two true pioneers of the Arab literary movement, who has benefitted from Nahj-ul-Balaghah to produce novel products in the world of words. Despite his inclination towards Christianity, he is one of the poets who had a thorough knowledge of the high concepts of Nahj-ul-Balaghah and used its themes to a great extent. The present study has been carried out via analytical-descriptive method by extracting evidence from Nahj-ul-Balaghah and Yaziji's Divan and then analyzing between them. The results reveal that the main core of the poet's Aphoristic poems was Nahj-ul-Balaghah and he utilized its clear source. As a result, Yaziji's Divan includes moral issues, sermons, and advices. Yaziji's maximum level of impact from Imam Ali's words in Nahj-ul-Balaghah was in such a way that he extracted the content from Imam's words and recreated them in his poems

Keywords: Nahj-ul-Balaghah, Nasif al-Yaziji, Impact, Aphoristic Poem.

الملخص

يضم نهج البلاغة مجموعة من أهم الموضوعات والتعاليم الإسلامية الأساسية، ويعد من أجمل النصوص المقدسة والمواثيق الإنسانية ومصدراً موثقاً في معرفة الدين، ويشمل كلاماً ومقتطفات من كلام الإمام علي (ع) الذي عبر عنه بأجمل المفردات والتعابير الفنية.. وقد لفت أنظار العديد من الأدباء والكتاب والشعراء ومنهم ناصر اليازجي. تتناول هذه المقالة تأثير نهج البلاغة على قصائد ناصر اليازجي. يعد يازجي أحد أشهر الشعراء العرب المعاصرين وأحد الرواد الرئيسيين للحركة الأدبية العربية الذين استخدموا نهج البلاغة لإنتاج أعمال جديدة في العالم. وعلى الرغم من ميله إلى المسيحية، إلا أنه من الشعراء الذين لديهم معرفة كاملة بمفاهيم نهج البلاغة السامية ومن أولئك الذين استخدموا موضوعاته على نطاق واسع. أجرى البحث الحالي بالمنهج الوصفي التحليلي واستخراج الشواهد من نهج البلاغة وقصائد اليازجي ديفان ثم التحليل والمقارنة بينهما. وأظهرت النتائج أن جوهر القصائد المأثورة للشاعر هو نهج البلاغة وقد استفاد منه بشكل واضح، ونتيجة لذلك احتوى ديوان اليازجي على قضايا أخلاقية وخطب ونصائح وحكم. تأثر اليازجي بشكل كبير بكلمات الإمام علي (ع) في نهج البلاغة بحيث اقتبس محتوى كلام الإمام وأعاد صياغته في قصائده.

الكلمات الدلالية: نهج البلاغة، ناصر اليازجي، تأثير، القصائد المأثورة.

المقدمة

يعتبر نهج البلاغة من النصوص التي تم التعبير عنها في إطار أجمل الكلمات وبصورة فنية، وقد جذب أنظار الكثير من الكتاب والشعراء وأثر على أشعار جميع عصور الأدب العربي ما عدا الجاهلية. ناصيف يازجي هو أحد شعراء عصر النهضة وأعظم شاعر عربي مسيحي نظم قصائده المأثورة متأثراً بنهج البلاغة. إن اهتمام يازجي بالقرآن ونهج البلاغة هو اهتمام داخلي، فقد تعرف على القرآن ونهج البلاغة منذ طفولته، ونتيجة لقراءة هذين الكتابين الثمينين كان لهما أثر كبير على قصائده. لأن كلام الإمام علي (ع) من وجهة نظر أصحاب الرأي هو كنز من ياقوت الكلام وقد صرحوا في هذا الصدد أن كلام علي (ع) دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق". (ابن أبي الحديد ١٤١٥: ٧/١) دراسة كلام علي (ع) من جهة وقراءة قصائد ناصيف يازجي من جهة أخرى يجعلنا ندع عن بأن يازجي في تأليف قصائده المأثورة إلى جانب شعراء الفترات الماضية من الشعر العربي يقبَس أيضاً من كلمات علي (ع) ويستخدمها في شعره. بالإضافة إلى ذلك، كان للشاعر احترام خاص للإمام علي (ع) ونهج البلاغة، وأقر بأن شرط أن تكون كاتباً ممتازاً هو حفظ القرآن ونهج البلاغة. لذلك، سنحاول في هذا المقال دراسة تأثير يازجي في قصائده بنهج البلاغة وعلاقة أشعاره المأثورة به.

إشكالية البحث

نهج البلاغة هو كتاب فريد من نوعه من الكلام الإنساني الفريد الذي أثر بشكل كبير في الأعمال الأدبية للشعراء والكتاب وغيرهم. لذلك فإن دراسة تأثير أشعار ناصيف يازجي بكلام الإمام علي هي أمر يشغل ذهن كل باحث. لذلك تهدف هذه الدراسة إلى تحليل تأثير نهج البلاغة على قصائد يازجي المأثورة. ومن خلال هذا البحث سنقوم بالإجابة على الأسئلة التالية.

- ١- هل تأثر يازجي بكلمات الإمام علي (ع) في تأليف قصائده؟
- ٢- ما هي أكثر المواضيع التي تأثر يازجي بها من نهج البلاغة؟

الدراسات السابقة

حتى الآن، لم يتم تقديم أي بحث مستقل حول تأثير نهج البلاغة على قصائد يازجي. ومع ذلك، فقد تمت كتابة البحوث والمقالات حول يازجي، وفيما يلي بعض هذه الكتب والمقالات والرسائل الجامعية:

١- كتاب "تجليات نهج البلاغة في الأدب العربي" بقلم محمد هادي أميني (٢٠١٣). في الفصل الأول، تم تقديم وصف موجز للقيمة الأدبية والبلاغية لنهج البلاغة وأحاديث كبار وعظماء الأدب العربي، وفي الفصل الثاني تم فحص تأثير نهج البلاغة على الأدب، مع ذكر الشواهد.

٢- "تأثر ناصيف يازجي بالقرآن والحكم الروائية" (خيريه عجرش، كوكب بازيار، ١٣٩٠) في هذا المقال درس المؤلفون أثر القرآن والروايات على قصائد ناصيف يازجي وخلصوا إلى أن القرآن والحكمة الروائية أثرت بطرق مختلفة على الحياة الشخصية والاجتماعية لناصر يازجي بشكل واضح وخفي.

٣- "دراسة تناص القرآن ونهج البلاغة في قصائد ناصيف يازجي". (بيمان صالح، ٢٠١٤) في هذا المقال، تناول المؤلف العلاقة بين تناص القرآن ونهج البلاغة مع قصائد يازجي، وتوصل إلى استنتاج مفاده أن يازجي قد استفاد كثيراً من القرآن ونهج البلاغة. يتميز هذا البحث بأنه يتناول باستقلالية قصائد ناصيف يازجي وتأثيرها بنهج البلاغة، لكن نهج المقال أعلاه هو العلاقة التناصية بين نهج البلاغة وقصائد يازجي.

٤- "دراسة مقارنة لصورة الدنيا في شعر بهار وناصر يازجي". (نجي معروف، محمد فارغي شاد، ٢٠١٤) في هذا المقال، درس المؤلفون آراء محمد تقي بهار وناصر يازجي حول الدنيا، وخلصوا إلى وجود أوجه شبه وقواسم فكرية مشتركة بين هذين الشاعرين الكبيرين من اللغتين الفارسية والعربية وهناك الكثير ليقال عن موقفهما من الدنيا.

٥- "دراسة مضامين ومواضيع قصائد ناصيف يازجي". (حديث بروين، ١٣٩٠) في هذه الرسالة، توصلت المؤلفة إلى استنتاج مفاده أن أشعار يازجي المأثورة

الموجودة فيهما" (نقلاً عن الغزالي، ١٩٩٨: ١٩١) في مكان آخر، يقول اليازجي عن هاتين الجوهريتين التيميتين: «إذا شئت أن تفوق أقرانك في العلم والأدب و الا نشاء و فعليك بحفظ القران و نصح البلاغه» (المصدر نفسه: ١٥٤).

مقدمة موجزة حول ناصر اليازجي

ناصر اليازجي، الشاعر العربي المسيحي الكبير ومن أوائل أساتذة اللغة العربية، من مواليد ٢٥ آذار ١٨٠٠، في قرية كفر شيما جنوب بيروت. هاجرت العائلة إلى مصر من حوران، لكن بعض أفرادها عاشوا في الساحل اللبناني. واصل تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه وتطور فن نظم الشعر عنده منذ فترة المراهقة. بسبب ذكركه الرائعة، حفظ الكثير من المواضيع وكتب ما كان يخشى نسيانه. كان معلمه الكتاب ومدرسته المكتبة، (الفاخوري، ٢٠٠٤م: ٦٧١) حتى بلغ الكمال في علوم عصره وبرع في النحو والصرف والتعبير واللغة والشعر. (المصدر نفسه: ٦٧١) يازجي شاعر نثري وتمثل أعظم خدمة قدمها للأدب العربي في مجال النثر، وفي هذا الصدد كان من أوائل رواد اللغة العربية في لبنان وتوافق معه كثير من الكتاب وأهمهم ومنهم أحمد فارس شدياق ومارون نقاش وإبراهيم أحد غيرهم. في مساء يوم ٨ شباط ١٨٧١، أصيب بجلطة دماغية وتوفي. افرام بستاني، ١٩٦٩م. ١٠-٨) "على الرغم من أن ناصر لم يكن شاعراً مجدداً، إلا أنه ساهم بشكل كبير في إرساء دعائم النهضة الشعرية المعاصرة، لأنه عندما مر الأدب العربي بأيام الضعف والانحطاط بسبب الحكم العثماني، قام بإحياء الشعر الجميل والفاخر والقصائد المجيدة للعصر العباسي، ونفخ روحاً جديدة في جسد الأدب العربي، ولهذا السبب يمكن أن يطلق عليه أحد قادة النهضة العربية المعاصرة". (بروين، ١٣٩٠ : ١) بالإضافة إلى تأليف الشعر، عمل على تأليف كتب مدرسية في مجال النحو واللغة والبلاغة للطلاب، ومن أهم أعماله الشعرية: « نبذه من ديوان الشيخ ناصر اليازجي، نفخه الريحان، ثالث القهرين، نبذه تواريخ مقتطفه من ديوان الشيخ ناصر اليازجي، و فاكهه

هي كنز ثمين من التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية والنصائح والمواعظ المفيدة والكلمات القوية والتجارب الإنسانية.

٦- "الحكمة والقيم الأخلاقية في شعر ناصر اليازجي": (كوكب بازيار، ٢٠١٠) توصلت المؤلفة في هذه الرسالة إلى استنتاج مفاده أن اليازجي اقتبس من مصدر تعاليم القرآن والحكمة الروائية، إلى جانب دراسة الدواوين الشعرية الشهيرة قبله، فنظم قصائد جميلة بأحسن أسلوب في اللغة الحالية، وضمها في بداية الرثاء والمديح في أشعاره. لذلك، تشير الأعمال المذكورة أعلاه إلى أنه نظراً لعدم إجراء بحث مستقل، فإن الدراسة الحالية مبتكرة.

ضرورة وأهمية البحث

بما أن ناصر يازجي معروف بأنه شاعر عربي مسيحي ورائد في شعر النهضة، ومن خلال ابتكار معاني ومفاهيم جديدة في أغراض مختلفة، بما في ذلك الحكمة، قاد نوعاً من الحركة الأدبية في الأدب العربي المعاصر، لذلك فإن معرفة مصادر إلهام اليازجي والمصادر التي وفرت الأساس لخلق صور جديدة من قبل هذا الشاعر، تثبت أهمية الموضوع الحالي، ومن ناحية أخرى، فإن تأثير مثل هذا البحث على التضامن والتقارب بين مختلف الأمم والأديان هو أمر واضح.

رأي اليازجي في نصح البلاغة

كان لليازجي اهتمام خاص بنصح البلاغة ولا شك أنه قرأ نصح البلاغة بحيث انغمست فيه روحه نتيجة لقراءته مرات كثيرة. وفي بعض المواضيع ومنها الحكمة تأثر بالإمام علي (ع) ونصح البلاغة. ناصر اليازجي، الشاعر الراحل في الشعر العربي المعاصر ذو الميول المسيحية، تأثر بنصح البلاغة أكثر من تأثره بالإنجيل. وفي هذا الصدد قال: "لقد تكونت مهاراتي في الكتابة نتيجة لدراسة القرآن الكريم والمواعظ البليغة لنصح البلاغة، لأن هذين الكتابين النبيلين هما كنز لا نهاية له للغة العربية ومخزن أبدي للباحثين عن الأدب، ومن المستحيل لكاتب عربي أن يفنى باحتياجاته دون أن يسهر الليالي حتى الصباح وهو يدرس ويفكر في هذين الكتابين وأحسن الأساليب

البحث

يعد ناصيف اليازجي من أشهر شعراء الأدب العربي المعاصر، وقد استفاد كثيراً من أسلوب نهج البلاغة للإمام علي (ع). ومن أهم مظاهر تأثير اليازجي بحكم نهج البلاغة: الصبر، والتقوى، والأخلاق، والأدب، وحفظ العهد، والصديق الحقيقي، والإصلاح في الشباب، والازدهار، والرفاهية والسكينة في الحياة، والشجاعة، والصفوح، والكرم، ومعرفة الذات وتحسين الذات، وعبرة الموت، والعدالة في الحكم، واستغلال الوقت، وتجنب التسرع، وذم حب المال، وتجربة أفضل معلم، وعدم عودة الشباب، وقيمة العلم المعرفة، والقناعة، والأقوال والأفعال، وزاد السفر إلى الآخرة، وحمد الله على النعم، والموت في الشباب، وذم الدنيا. لكن أحد الموضوعات الأكثر استخداماً والتي تأثر بها ناصيف يازجي بنهج البلاغة في ديوانه هو مناقشة الدنيا والموت.

في قصائده، استعان بعبارات نهج البلاغة أو موضوعاته ودمجها مع لغة ذوقه وشعوره الغني، وأنتج قصائد تم الإشادة بها على المستوى العام والخاص من حيث الشكل المحتوى. في هذا القسم، تم ذكر بعض هذه الأمثلة من حيث تواتر القصائد وأهمية الموضوع في ديوان اليازجي.

الدنيا كفيء الظل

وصف الإمام علي (ع) في نهج البلاغة الدنيا من وجهة نظر الحكماء على النحو التالي: «فإنَّها عند ذوى العقول كفيء الظلِّ بنيا تراهُ سابغاً حتى قلصَ و زانداً حتى نَقَصَّ» (الخطبة ٦٣)

إن الدنيا في نظر الحكماء كظل زوال الظهر الذي لم يكد يتسع حتى تقلص ونقص. وقد كتب ناصيف اليازجي القصيدة التالية في هذا السياق وتحت تأثير كلمات الإمام علي (ع) المذكورة أعلاه:

ويلاه من هذى الحياه فإنّه
كالظِّلِّ تحت الشمس يمشى القهقرى
إنَّ الحياه هى الشبابُ و إن تَرَدَّ
نقصت كلفظٍ بالزَّياده صُغراً

(ديوان، ١٩٨٣: ١٧٢)

الندماء في مراسله الا دباء، مقامات مجمع البحرين» (الفاخوري، ٢٠٠٤م: ٦٧٥-٦٧٣؛ معروف، فارغي، ١٣٩٣: ١٣٩٣)

مفهوم الحكمة

بالنسبة للبحث حول أي موضوع في الوقت الحاضر، فإن دلالات ذلك الموضوع تتمتع بأهمية خاصة قبل الدخول في المناقشة، ويقوم كل باحث من خلال تحليل موضوع بحثه في اللغة، وتعريفه بمصطلحات ومؤشرات أخرى، بتقديم اقتراحه في مجال دراسة المفهوم ويهيء في الواقع عقل القارئ للدخول في مناقشته. إذا كانت المفاهيم المعنية غير واضحة أو دقيقة بدرجة كافية، فسيعمل الباحثون على أساس تصورهم الشخصي أو العام، وستؤدي هذه المشكلة إلى تعطيل عملية البحث. في هذه المقالة، تمت دراسة كلمة "الحكمة" لغة واصطلاحاً، ثم تمت مناقشة البحث الرئيسي.

الحكمة لغة تعني الوصول إلى الحقيقة بواسطة العلم والعقل (راغب أصفهاني ١٤٣٠: ١٧٢) والحكمة اصطلاحاً بناء النوع، أي أنها نوع من العمل المنتقن أو إتقان العمل الذي لا يوجد فيه ثغرة ولا ضعف، وغالباً ما تستخدم في المعلومات الفكرية الحقيقية التي لا يمكن دحضها على الإطلاق. (طباطبائي، ٢٠٠٣: ٣٩٥) الحكمة تراعي الحقائق التي يحققها الإنسان بعد البحث والتأمل. يعبر الحكماء عن مقارباتهم الاجتماعية والفردية بأسلوب موجز وفي شكل قصائد مؤثرة. الحكمة، إن لم تكن تجربة ذاتية، فهي طريقة في الشعر ينظم صاحبها في العالم وحقيقة الأشياء شعراً من وجهة نظر فلسفية وقائمة على ثقافتها. (هداره، ١٩٦٩: ٤٤٨) من بين الشعراء العرب المعاصرين، عبّر ناصيف اليازجي عن آرائه في التعبير عن الحكمة الأخلاقية وتأثيرها على أوضاع الناس في عصره. بالإضافة إلى الاستفادة من نهج البلاغة، فقد استخدم خبراته الشخصية والعلمية ورحلاته الطويلة والصعوبات التي واجهها في التعبير عن المواضيع الماثورة وقدم آراء فلسفية ومنطقية مهمة. والآن سننتقم هذه الفرصة لنذكر بعض أبيات ناصيف التي تتضمن مفاهيم نهج البلاغة.

تشبيه الدنيا بالسراب

أحد الموضوعات التي وصفها علي (ع) في نصح البلاغة بالتشبيه هو موضوع الدنيا. ومن التشبيهات التي استخدمها الإمام علي (ع) واليازجي تشبيه الدنيا بالسراب الذي يجذب الإنسان. وكلما حاول الشخص الوصول إلى هذا السراب، فلن يصل إليه. يقول الإمام علي (ع) في هذا الصدد: «من سعى في طلب السراب طالَ تعبُهُ و كَثُرَ عطشُهُ» (آمدی، ١٣٧٣: ٤٣٨/٥). كما يقول عليه السلام في مكان آخر حول الدنيا: «أما الدنيا متاعٌ أيامٌ فلائلٌ ثمَّ تزولُ كما يزولُ السرابُ و تفتنُّ كما يفتنُّ السحابُ» (المصدر نفسه: ١٣٧٣: ٨٥/٣). ويقتبس ناصر اليازجي في تشبيه الدنيا بالسراب

كلام الإمام علي (ع) فيقول:

لا مَرَجبا إن جاءت الدنيا و لا
أسفاً اذا ولت و ما الدنيا تُرى
هي كالسراب يزيدُ مَهجةً وارِد
ظمأً و يَمَلأُ مُقَلَّتِيه منظرًا
غزارةً يسيى الحكيم خِداغها
مكرراً و يُطغى الفيلسوف الأكبرا

(يازجي، ١٩٨٣: ١٧١-١٧٠)

... شبه الإمام علي (ع) في العبارات السابقة الدنيا بالسراب الذي يزداد طالبه تعباً وعطشاً. كما يذكرنا يازجي أن العالم سراب لا يضيف شيئاً إلى رغبات طالبه. يتجلى هنا تأثير كلام الإمام علي (ع) في شعر اليازجي، لأن نص اليازجي كتب بالتوازي مع التعبيرات العلوية، وفي الحقيقة عبّر عنه الشاعر بنفس كلام الإمام (ع) بأن الدنيا مثل السراب وهذا تقليد محض. وتقود كلمة "السراب" القارئ إلى النص المؤثر.

الموت

من القضايا المهمة التي تحدث عنها الإمام علي (ع) في نصح البلاغة قضية الموت. لأن التمتع بالعالم المعنوي لا يتحقق في هذا العالم المادي، وكل شخص يحتاج إلى المرور عبر هذا العالم للوصول إلى عالم أعلى وأسمى. في كثير من رثائه، كانت القضية الأهم التي ذكرها ناصر

استعار يازجي في الأبيات السابقة صورة ووصف الدنيا كالظل، وهي من أقوال الإمام علي (ع)، ونظمها بلغة أدبية. كما لوحظ، نشأ موضوعه الفكري من ثقافة نصح البلاغة.

بحسب كلام الإمام علي (ع)، الدنيا مثل الظل الذي ينحسر. قدم يازجي في الآيات السابقة هذه المفاهيم التي تكشف عن وجود نوع من العلاقة بين التأثير والتأثر في هذين النصين، ويؤسس الشاعر هذه العلاقة بكلمات قريبة من كلام الإمام علي (ع) مثل "الظل" و "نقص". لذلك يظهر مجرد تقليد في هذا الصدد، لأن النص المتأثر هنا هو استمرار للنص المؤثر ولا يوجد شيء اسمه الابتكار.

الدنيا دار مجاز

الدنيا دار فانية، ولو طال عمر الإنسان وكائناً من يكون، فلا بد أن يغادر هذه الدار الفانية في النهاية. ويحذر الإمام علي (ع) في نصح البلاغة الناس من هذا الأمر مراراً وتكراراً، فيقول على سبيل المثال: «أيها الناس! أما الدنيا دار مجازٍ و الآخرة دار قرارٍ» (الخطبة ٢٠٣). كما نقل ناصر اليازجي عن الإمام علي (ع) قوله إن الدنيا ليست مكاناً للبقاء بل مرحلة عابرة حيث كتب:

هيهات ما الدنيا بدارٍ إقامه
الآ كما نزل المسافر الدجى

(يازجي، ١٩٨٣: ١١٩)

كما يقول الإمام علي (ع):

الا أما الدنيا لمنزل راکبٍ
أناخ عشياً و هو فى الصبح راحلٌ

(الإمام علي (ع)، ١٣٦٩: ٣١٥)

في هذه القصيدة، يعتبر الإمام علي (ع) العالم بمثابة نزل تنام فيه الإبل ليلاً وتهاجر في الصباح. وهنا يرافق تأثر اليازجي مع القليل من الإبداع من قبل الشاعر، فقد استوعب مضمون كلمات الإمام (ع) التي تعبر عن زوال الدنيا، وقدمها بكلمات أخرى. في الواقع، يمكن القول أن التعبير عن هذا المفهوم في إطار الشعر هو ابتكار من قبل اليازجي.

الاعتبار والتأكيد عليها من قبل الإمام علي (ع). في الواقع، من أهم مصادر وعوامل هداية الإنسان أخذ العبرة من الماضي والسلف. يقول الراغب الأصفهاني: العبرة والاعتبار: إنها حالة تؤدي فيها المعرفة الظاهرية والحسية إلى فهم المعرفة الباطنية وغير الحسية. بمعنى آخر، ينتقل الإنسان من الملموس إلى غير الملموس. (الراغب الأصفهاني، ١٣٦٣: ٣٢٠) ويقول الإمام علي حول العبرة من الموتى: «والله لا أكون كمستمع اللدم يسمع التاعى و يحضر الباكي ثم لا يعتبر» (خطبة ١٤٨).

كما يقول ناصيف اليازجي متأثراً بكلمات الإمام:

فى كل يوم من الموتى لنا عبرٌ

تبدو و يا حَبْدًا لَو تَنفَعُ العِبرُ

(يازجي، ١٩٨٣: ٢٧٧)

حسب تعاليم الإمام علي (ع) كل ميت هو عبرة لنا. وقال اليازجي في قصيدة أخرى:

نبغى بلاغ المنذرين و عندنا

من كلِّ ميِّتٍ قام أبلَغُ مُنذرٍ

(المصدر نفسه: ١١٢)

وقال الإمام علي (ع) في كلمة أخرى: «تَطَّأُون فى ها مهم، و تَسْتَشْتَبُون فى أجسادهم، و ترتعون فيما لفظوا...» (خطبة ٢١٢).

ويقول اليازجي مقتبساً من تعاليم الإمام علي (ع) في هذا المجال:

بلى قد استو حشت منهم و نحن على

آثارهم نُوء نِسُّ الأجدات حيث هم

(يازجي، ١٩٨٣: ١٩٤)

موضوع قصائد اليازجي مأخوذ من كلام الإمام علي (ع). يجب أخذ العبرة من الأموات في الماضي. كما يتضح، هناك نوع من التأثير بين النصين؛ بنفس الطريقة التي أكد بها الإمام علي (ع) واليازجي على العبرة من الأموات، يستخدم اليازجي، مثل الإمام علي (ع)، كلمة "يعتبر" للعبارة. في الواقع، العلاقة هنا من نوع التأثير مرتبطة مع السعي للابتكار بحيث يعبر الشاعر عن مضمون كلام الإمام بعبارة أخرى.

اليازجي باستمرار هي قضية الموت. ويقول الإمام علي (ع) في الموت: « و قد رأيت من كان قبلك مِّن جمع المأل و حذر الإقتلال... كيف نزل به الموت فأزعجه عن وطنه و أخذه من مأمنه محمولاً على أعود المنايا...» (الخطبة ١٣٢):... واستعار اليازجي نفس المفاهيم والموضوعات الموجودة في أقوال الإمام علي (ع) الحكيمة وعبر عنها في الأبيات التالية:

من كان يعلو سروج الخيل مُذهبه

قد زارك اليوم بالألواح و الدُسر

(يازجي، ١٩٨٣: ١٢٤)

إن مفهوم "امتلاك الثروة والرفاهية وأخيراً الاستلقاء في التابوت" هو مفهوم يكشف عن وجود نوع من علاقة التأثير بين هذين النصين؛ فيؤسس الشاعر هذه العلاقة باستخدام كلمات قريبة من كلمات الإمام علي (ع) مثل "ألواح و دسر". لذلك يظهر هنا مجرد تقليد؛ لأن النص المتأثر هنا هو استمرار للنص المؤثر ولا يوجد شيء اسمه الابتكار. و يقول الإمام علي (ع) في بيان آخر حول الموت: «إِنَّ لله مَلِكاً يُنادى فى كلِّ يوم: لِدوا للموت...» (حكمة ١٣٢):.

واقتراداً بالإمام علي (ع)، أكد اليازجي أيضاً على موضوع الولادة للموت وكتب:

الناس للموت لا للعيش قد وُلدوا

فهوا الحياه التى تُرجى و تُعتبرُ

(يازجي، ١٩٨٣: ٣١٩)

وقال كذلك:

للموت يولد منا كل مولود

يا ايها الام ربى الطفل للُدود

(المصدر نفسه: ١٣)

خلق مفهوم الولادة من أجل الموت نوعاً من الارتباط ونوعاً من علاقة التأثير بين النصين المذكورين؛ المفهوم هو نفسه، لكن بصياغة مختلفة بعض الشيء؛ في الواقع، يقدم الشاعر التفاعل بين النصين للقارئ.

العبرة من الموت

العبرة من أهم طرق التربية الإسلامية التي تم أخذها بعين

نشأ هذا البيت من مفاهيم نهج البلاغة وأقوال الإمام (ع). أخذ اليازجي المعنى من تعبير علي (ع) وصوره في قصيدته. في كلتا الحالتين هناك نوع من التفاعل والعلاقة التي تظهر تأثير النص الثاني بالنص الأول. وهذه العلاقة جعلت الشاعر يقتدي بالإمام علي (ع) ويرى أنه في كل الأحوال، فإن ما اكتسبه الإنسان فوق قوته هو خازن فيه لغيره. محتوى النص المتأثر والنص المؤثر هو نفسه، لكن تم تقديمهما بكلمات مختلفة.

معرفة النفس وبناء النفس

من الأمور المهمة التي تناولها الإمام علي (ع) في نهج البلاغة مسألة معرفة الذات. معرفة الذات تعني وعي الإنسان بنفسه وإدراكه لها. (دهخدا، ١٣٦٦: ٢١/٨٤) معرفة الذات اصطلاحاً تعني معرفة الإنسان لنفسه من حيث امتلاك المواهب والقوى اللازمة للتنمية البشرية. مصباح يزيدي، محمدتقي. ٦٦) للإمام علي (ع) أحاديث كثيرة في معرفة الذات وقيمة معرفة الذات، منها: «العالم من عرف قدره وكفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدره» (ابن أبي الحديد، ١٤١٥، ١٨ / ١٠٧) ويقول في حكمة أخرى: «هلك امرؤ لم يعرف قدره» (حكمة ١٤٩).

ويقول يازجي مقتبساً من معنى البيانات العلوية:
و إذا لم أعرف كرامه لنفسى
كيف أرجو بمن سواى كرامه

(يازجي، ١٩٨٣: ٧١)

تحدث الإمام علي (ع) حول معرفة الذات في خطباته، ويذكر اليازجي أيضاً نفس الموضوع في البيت أعلاه ويعتقد أن معرفة الذات واحترام الذات وتحسين الذات أمور ضرورية لكل إنسان، وهذا ما يخلق نوعاً من العلاقة والتأثير بين النصين؛ فالمفهوم هو نفسه ولكن بمفردات مختلفة. لذلك اتخذ الشاعر جوهر الموضوع من الإمام (ع).

طريقة العفو والكرم

ومن الموضوعات الواردة في القرآن والأحاديث، ومنها نهج البلاغة، التسامح ومساعدة الآخرين. إن معرفة الحياة العملية والكلامية للإمام علي (ع) نموذج شامل وكامل

ضرورة العلم ومكانة العلماء

يحتل العلم وضرورة اكتساب المعرفة مكانة عالية ومهمة في أقوال الإمام علي (ع)، بحيث تعتمد عليها هوية الإنسان وسعادته ورفاهه. وقد عبر الإمام عن أهمية العلم ومكانة العلماء من زوايا مختلفة منها: «هلك خزّان الاموال و هم أحياء و العلماء باقون ما بقى الدهر: أعيانهم مفقوده، و أمثالهم فى القلوب موجوده» (حكمة ١٤٧)

ولناصر اليازجي أبيات كثيرة عن قيمة اكتساب العلم ومكانة العلماء. في البيت التالي اقتبس اليازجي من كلام الإمام علي (ع) حول مكانة العلماء على النحو التالي:

مضى ذكر الملوك فى كل عصر
و ذكر السؤفة العلماء باقى

(يازجي، ١٩٨٣: ٢٤٥)

وقال في مكانة العلم والعلماء:

ما أشرف العلم فى الدنيا و أجمله
فذاك خيرٌ من الأملاك و الحول
كم ملوك تقضى ذكراها و مضى
و ذكر ذى العلم بين الناس لم يزل

(المصدر نفسه: ٤٠١)

... وذكر الإمام علي (ع) في أقواله أن العلماء خالدون وأسماءهم باقية. كما أكد يازجي على هذه المسألة في الأبيات السابقة. هنا يصاحب التأثير القليل من الابتكار من قبل الشاعر؛ فقد استوعب الشاعر مضمون كلام الإمام علي (ع) وهو خلود أسماء العلماء وقيمة العلم، وقدمها بعبارة أخرى. في الواقع، يمكن القول إن التعبير عن هذا المفهوم في شكل شعر هو ابتكار الشاعر.

ذم حب المال

وفي نهج البلاغة يلوم علي (ع) المادية ويقول في هذا الصدد: «يا ابن آدم ما كسبت فوق قوتك، فأنت فيه خازنٌ لغيرك.» (حكمة ١٩٢)..

وتحدث ناصر اليازجي في ديوانه عن إدانة المادية:

أجسامهم للثرى تُعطى و أنفسهم
لله و المال للأعقاب فى القسم

(يازجي، ١٩٨٣: ١٦٧)

من نوع التأثير مع محاولة الابتكار.

الجدول ١: تواتر الموضوعات التي تأثر فيها اليازجي بنهج البلاغة

تسلسل	الموضوع	عدد الأبيات في الديوان	%
١	الدنيا	٩٢	٠.٣
٢	العلم	٢٠	٠.٠٦
٣	الموت	٤٠	٠.١٣
٤	ذم حب المال	٢٠	٠.٠٦
٥	معرفة النفس	٨	٠.٠٢
٦	العجلة	٩	٠.٠٣
٧	طريقة العفو	١٠	٠.٠٣
٨	العبرة من الموت	١٨	٠.٠٦

الخاصة والاستنتاجات

بالإضافة إلى التعبير عن اهتمام اليازجي بالقرآن ونهج البلاغة، فإن ذلك يشير إلى أن الشاعر يجب أن يتأثر بكلمات الإمام علي (ع)، ويحتوي مختلف أنحاء ديوان زعيم الحركة الشعرية إلى مفاهيم وعلامات مثل تلك المذكورة، وهي دلالة واضحة على تأثر الشاعر العربي المعاصر الكبير بتعاليم الإمام علي (ع) وكلماته الحكيمة. وفيما يلي ذكر لها:

١. يتأثر اليازجي بكلمات ومفاهيم نهج البلاغة بطرق مختلفة. إنه يتأثر إما بمجرد تقليد نفس كلمات الإمام (ع) واقتباسها، أو باستعارة معاني تلك الكلمات وإعادة صياغتها في شعره.
٢. من خلال فحص قصائد ناصيف اليازجي اتضح أن جوهر كلام هذا الشاعر الحكيم بالإضافة إلى القرآن هو نهج البلاغة، ومن أكثر المواضيع التي يتأثر فيها اليازجي بنهج البلاغة الدنيا والموت.
٣. من خلال دراسة قصائد اليازجي وكلماتها أو معانيها ومحتواها، وكذلك من خلال خطوط الفكر الديني التي تتوضح عند قراءة قصائده البلاغية، ندرك تأثر اليازجي بنهج البلاغة.
٤. كان أعلى درجات تأثر اليازجي بنهج البلاغة أنه أخذ محتوى كلام الإمام وأعاد صياغته في قصائده.

يوفر لنا الطريق إلى السعادة والنعيم. وللإمام علي (ع) أقوال كثيرة في هذا الصدد. بما في ذلك: «من أيقن بالخلفِ جاداً بالعطيّة» (حكمة ١٣٨): «السَّخَاءُ ما كان ابتداءً فاقماً ما كان عن مساله فحياءً و تَدَمُّمٌ.» (حكمة ٥٣). محتوى العبارات أعلاه هو أساس بعض قصائد اليازجي القريبة من مفاهيم التسامح في كلام الإمام علي (ع) وهو يعبر عن مستوى تأثر اليازجي بهذه الفكرة، حيث يقول:

خيرا لكرام الذي يعطيك مبتدئاً

و أجهجُ الرفدِ رفدٌ غير منتظر

(يازجي، ١٩٨٣: ١٥٦)

يعتبر الإمام علي (ع) أن أفضل العفو يكون دون طلب ويذكر اليازجي الشيء نفسه في قصيدته ويعتقد أن العفو الممدوح إذا منح دون طلب. إن درجة تأثر النص المتأثر بالنص المؤثر في هذا الموضوع هو مجرد تقليد، لأن اليازجي قد عبر عن الصفح دون طلب بنفس كلمات الإمام. وتقود كلمة "مبتدئاً" القارئ إلى النص المؤثر.

تجنب العجلة والتسرع

في نهج البلاغة وأقوال الإمام علي (ع)، يمكن رؤية العديد من الأحاديث حول ذمه للتسرع والعجلة. العجلة نقيض التأني وفي كتاب المفردات معناها طلب الشيء قبل أن يجين وقته (الراغب الأصفهاني ١٤٣٠: ٤٢٥) ويحذر الإمام علي (ع) من عواقب العجلة المشؤومة. فيقول على سبيل المثال: «العجلُ قبل الامكان يوجب الغصه» (آمدى، ١٣٧٣: ٣٥١/١) ويشير في كلام آخر إلى نتيجة أخرى من نتائج العجلة: «فكم من مستعجل بما أدركه ودَّ إنه لم يُدركه» (خطبة ١٥٠): ويقول اليازجي متأثراً بهذا الكلام العلوي:

من يصحب الدهر يعرف حالته و من

يعاجل الامر لا يخلو من التدم

(ديوان: ٢٧٢)

إن تأثير نهج البلاغة على شعر اليازجي واضح تماماً. لأن نص اليازجي تم إنشاؤه بالتوازي مع نص الإمام علي (ع) وفي الواقع يعبر الشاعر عن محتوى كلام الإمام بعبارة أخرى وبقليل من التجديد والواقع أن العلاقة هنا

المصادر

- نَحج البلاغة (١٣٨٠). مترجم محمد دشتي، ايران، قم: اوج قلم، ط ١.
- ابن ابى الحديد، ابوحامد عبد الحميد. (١٤١٥). شرح نَحج البلاغة، لبنان، بيروت: مؤسسه الأعلمی للمطبوعات. افرايم بستانى، فؤاد. (١٩٦٩). لبنان مباحث علميه و اجتماعيه، لبنان، بيروت: دارالفكر.
- امينى، محمد هادى. (١٣٩٣). تجلئ نَحج البلاغة بر ادبيات عرب، مترجمان، سيد محمدي نوري كيدقاني، سيد مرتضى حسيني، ايران، قم: انتشارات بنياد نَحج البلاغة، ط ١.
- آمدى، عبدالواحد بن محمد. (١٣٧٣). ترجمه غرالحكم و درالكلم، شرح جمال الدين محمد خوانسارى، تصحيح مير جلال الدين حسيني ارموى، ايران، تهران، انتشارات دانشگاه تهران، ط ٣.
- بازيار، كوكب. (١٣٨٩). حكمت و ارزشهاى اخلاقى در شعر ناصيف اليازجى. پايان نامه كارشناسى ارشد، دانشگاه شهيد چمران اهواز.
- پروين، حديث. (١٣٩٠). بررسى مضامين و درون مايه هاى اشعار حكيمى ناصيف اليازجى، پايان نامه كارشناسى ارشد، دانشگاه رازى.
- ديوان امام على (ع). (١٣٦٩). مترجم مصطفى زمانى، ايران، قم: پيام اسلامى، ط ٢.
- دهخدا، على اكبر. (١٣٦١). لغت نامه، ايران، تهران: وزارت ارشاد اسلامى، ط ٥.
- راغب اصفهانى، ابوالقاسم حسين بن محمد. (١٤٣٠). المفردات فى غريب القرآن، لبنان، بيروت: مؤسسه الأعلمی للمطبوعات، ط ١.
- الأعلمی للمطبوعات، ط ١.
- صالحى، پيمان. (١٣٩٣). بررسى بينامتنيت قرآن و نَحج البلاغة در اشعار ناصيف اليازجى، همایش ملی بينامتنيت، ج ٤: قم.
- الطباطبایى، سيد محمد حسين. (١٣٨٢). تفسير الميزان، مترجم محمد باقر موسوى همدانى، ايران، قم: دفتر انتشارات اسلامى.
- عچرش، خيريه، بازيار، كوكب. (١٣٩٠). «تأثير پذيرى ناصيف اليازجى از قرآن و حكمت هاى روايى»، مجله لسان مبین، دوره ٢، ش ٢. صص ١٠٣-١٢٤.
- غزالی، محمد. (١٣٧٧). نظرات فى القرآن، قاهره: مؤسسه الخفاجى.
- فاخوزى، حنا. (١٣٨٣). تاريخ ادبيات عرب، مترجم، محمد آيتى، ايران، تهران: توس.
- مصباح يزدى، محمدتقى. (١٣٨٨). خودشناسى براى خودسازى، ايران، قم: انتشارات مؤسسه آموزشى و پژوهشى امام خمينى، ط ١٩.
- معروف، يحيى، فارغى شاد، محمد. (١٣٩٣). «بررسى تطبيقى سيمای دنيا در شعر بهار و شيخ ناصيف اليازجى، فصلنامه لسان مبین، سال ششم، شماره ١٧، صص ١٦٩-١٣٤.
- هداره، محمد مصطفى. (١٩٦٩). اتجاهات الشعر العربى، مصر: دار المعارف، ط ٢.
- يازجى، ناصيف. (١٩٨٣). «ديوان»، محقق، مارون عبود، لبنان، بيروت: دارمارون عبود، ط ١.

بررسی تأثیر نهج البلاغه بر اشعار حکمی ناصیف یازجی

ابراهیم فلاح*

تاریخ دریافت: ۱۳۹۹/۰۲/۱۶

تاریخ پذیرش: ۱۳۹۹/۱۲/۱۱

استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه آزاد اسلامی واحد ساری، ساری، ایران

چکیده

نهج البلاغه مجموعه‌ای از اساسی‌ترین مباحث و معارف اسلامی و یکی از زیباترین متون مقدس و منشور انسان‌سازی و به عنوان منبعی متقن در معرفت دین شامل گفتار و پاره‌گفتارهای علی (ع) است که در قالب بهترین الفاظ و به صورتی هنرمندانه بیان شده، و توجه بسیاری از ادیبان و شاعران و نویسندگان از جمله ناصیف یازجی را به خود جلب می‌نماید. مقاله حاضر به بررسی تأثیر نهج البلاغه بر اشعار حکمی ناصیف یازجی می‌پردازد. یازجی یکی از شعرای نامدار معاصر عرب و یکی از دو پیشرو اصلی جنبش ادبی عرب که با بهره‌گیری از نهج البلاغه تولیدات بدیعی در جهان سخن داشته است. علی‌رغم گرایش وی به دین مسیحیت از جمله شاعرانی است که از مفاهیم والای نهج البلاغه شناخت کاملی داشت و از مضامین آن استفاده فراوان می‌نماید. پژوهش حاضر به روش تحلیلی-توصیفی و با استخراج شواهد از نهج البلاغه و دیوان یازجی و سپس تحلیل میان آن‌ها انجام شده است. نتایج حاصله نشان می‌دهد هسته اصلی اشعار حکمی این شاعر، نهج البلاغه بوده، و از آبخور زلال آن بهره‌ها گرفته است. در نتیجه دیوان یازجی در بردارنده مسائل اخلاقی، موعظه، نصیحت و پند و اندرز است. بیشترین سطح تأثیرپذیری یازجی از سخنان امام علی (ع) در نهج البلاغه به این شکل است که وی محتوای سخنان امام را گرفته و در اشعار خود بازآفرینی می‌کند.

کلیدواژه‌ها: نهج البلاغه، ناصیف یازجی، تأثیر، اشعار حکمی.